

عالم رباني فقدناه



السبت 25 أغسطس 2007 06:03 م

كتب: بقلم: عبد الحميد البلالى



عبد الحميد البلالى

لم تمنع حرارة يوم 30 يوليو 2007م، والتي تجاوزت الخمسين درجة مئوية، آلاف المحبين من جميع الجنسيات من التوافد على مقبرة الصليبخات لتوديع العالم الرباني الدكتور السيد نوح، بعد أن غادرنا يوم الإثنين 30/7/2007م بعد مرض عضال لم يغير من أخلاقه العالية، وسمته الذي يشبه سمته التابعين، رضي الله عنهم.

فقد زرته في المستشفى قبل وفاته بعشرة أيام، فوجدته راقداً على سرير المرض في مستشفى ثيان الغانم، وقد مُنعنا من الدخول عليه، ففتحوا الباب، وإذا بالمرض قد أخذ الكثير من وزنه، وبالرغم من كثرة الأسلاك الموصلة بجسده، إلا أن الابتسامة لم تفارقه، فرفع يده إليّ مسلماً عليّ، وابتسامته الإيمان تملأ وجهه الراضى بما كتب الله له.

لقد تعرفتُ على د. السيد نوح في دولة الإمارات منذ ما يُقارب خمس عشرة سنة أو يزيد، وكان لقاءً مشتركاً في محاضرة، ومنذ تلك اللحظة أيقنت أنني أمام عالم رباني يختلف تماماً عن الكثير من علماء هذا العصر، ففي تلك المحاضرة سلّم عليّ بحرارة، وكأنه يعرفني منذ عشرات السنين، وفاجأني حينها بعبارة تدل على تواضعٍ عظيم، عندما قال لي: "أنا أستفيد من كتبكم" فقلت: أستغفر الله. من أنا يا شيخ حتى تستفيد من كتبى!

لم يقل ذلك مجاملةً، بل قالها متجرداً من الألقاب والشهرة، والعلم، قالها لأن الفقيه الحق هو من تواضع للآخرين عن قدرة، فقد خرج الحسن البصري مع صاحبين له يتذاكرون التواضع فقال لهما: وهل تدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلق مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً.

كان يرحمه الله صاحب همّة عالية، فلا تكاد تراه إلا وهو في شغلٍ للدعوة إلى الله، ما بين خطبة جمعة أو درس في مسجد، أو حلقة علم يديرها، أو إصلاح بين الناس، أو قراءة، أو بحث ينفع به المسلمين أو سفر لنشر دعوة الله تعالى، حتى بعدما ذهب إلى الصين لزرع كبدٍ جديد، وعودته للكويت، ما إن رأى من نفسه شيئاً من العافية حتى نفص الغطاء عن جسده الواهن، وانطلق إلى

قد ترى الكثير من الناس في حالات متعددة بين الابتسامة والعبوس، أو بين الضحك والبكاء، أو بين السخط والرضا، ولكنني لم أَرِ السيد نوح يرحمه الله، ولم ألقه يوماً من الأيام إلا والابتسامة تملأ محياه، حتى في مرض الموت لم تفارقه الابتسامة، وكان إذا سأله أحد وهو في مرضه عن صحته، يقول: "بخير.. الحمد لله".



الشيخ السيد نوح

لقد كان يرحمه الله سريع الدمعة، غزير العبرة، شديد التأثر بكتاب الله تعالى، يقول أحد الذين صلوا يوماً بجانبه: لقد سمعته يبكي بكاءً شديداً عندما قرأ الإمام، ولم يتوقف أبداً من البكاء، حتى انتهت الصلاة، وطلبوا منه أن يقول خاطرة، فقام أمام الناس، وقال: "لا كلام بعد كلام الله، ولا موعظة بعد موعظة الله".. ثم انصرف، واكتفى بهذه الموعظة.

كنت نقلت له عتاب بعض الإخوة عليّ لاختصاري لبعض المعاني في كتبي الدعوية، رد عليّ يرحمه الله "أنت اختصر ونحن نفصل".. ومن قرأ كتبه حقاً يستمتع بذلك التفصيل غير الممل، والملء بالعلم، فقد أثرى المكتبة الإسلامية بمجموعة من أروع الكتب في السلوك والدعوة.. منها كتاب "زاد على الطري

